مخلوعان عن العالم مثلما يخلع المارد قضيبا عن شجرة ، يطل علينا عبد العاطي من فوق ، وسيطنا الوحيد المجهول القدرة .

وقلت له : «انني رجل ضرير» . واشرت بأصابعي نحو عينيّ ثم قاطعت كفيّ مفروشتين امامهما ، مثلما ينغلق مصراعا باب ، وسمعته يهمهم ، ثم قال : « فهمت » وخيم الصمت اثقل مما كان ، وبدا لي اطول مما توقعت ، وجاءت كلماته من ثم مثل شيء يعبر مسرعا دون ان يترك سوى صدى الحفيف : « واين يمكن لاصم واعمى ان يلتقيا الا هنا ؟ » ووضع كفه على كتفي وخيل الي انها التصقت بي الى الابد . « اين يمكن لاصم واعمى ان يلتقيا الا عند ضريح عبد العاطي ؟ » قلت لنفسي : « ومع ذلك ، فان العالم صغير » ورفعت كفي نحو السماء السوداء ، واشرت الى فوق . « هذا رأس عبد العاطي ، وانت لا تستطيع ان تراه ، هو نفسه الذي رأيته في الصورة ، هو نفسه الذي يجترح المعجزات ، وهو الذي سيعيد اليك بصرك ، ولكنك لا تراه الان » وضحك ، فرن في البرية صوت يشبه افراغ قربة ماء . « ليس اجن منك الا انا ، نبحث في كوم الطين عن كنز مسروق ، ورأس عبد العاطي يضحك علينا ، لا انت تراه ولا انا اسمعه » وخبط كفه على كتفي فبدونا صديقين عتيقين نتبادل حواسنا على صورة فريدة . ولا شك في انني ضحكت عند ذاك ، اذ انه ضحك بدوره مرة اخرى بعد ان كان قد توقف ، وسأل : « أتريد أن تراه ؟ » ودار حولي : « أعني أن تلمسه » ، ومضى عني الى قرب الشجرة ثم عاد الي . « لو رفعتك على كتفي فستصل بكفيك اليه وهو معلق على الجذع ، تستطيع أن تلمسه وتتعرف اليه ، لا احد هنا يرانا » وصمت ثم مضى « ... ليرانا ويضحك علينا ، هيا ! » وشدني من كمي الى الامام ، وجعلني اتحسس جذع الشجرة ، ثم اخذ العكاز «وضعت عكازك على قبر عبد العاطي ، سيحافظ عليها جيدا» وضحك مرة اخرى مصدرا صوت قربة تفرغ من مائها ، ويبدو انه ركع على الارض اذ صرت اسمعه من تحت ، وثبت احدى قدمي على كتفه وامسك بكلتا كفي : « ارفع قدمك الاخرى » . تركت نعلي ينزلق وسحبت قدمي ببطء على ملمس من ظهره ،وشعرت بعضلات كتفيه مشدودة ومفروشة تحت قميصه كأسنان مشط عريض ، وبدأ يقف حين وجدت قدماي مكانهما على كتفيه ، يرتج قليلا تحت ثقلي ولكن دون ان يبدو انه سيفقد توازنه ابدا ، وعندما انتصب تماما ترك كفي فتمسكت بجذع الشجرة ، وتركتهما ينطلقان الى فوق كأنما من تلقائهما ، يتحسسان الخشب الخشن واسمع حفيفهما . كنت ارتجف قليلا ، ولست ادري ان كنت خائفا او متوجسا او قلقا ، وربما كنت مستثارا فقط . « وجدته ؟ » كأنت احدى كفي قد وصلت الى منبت الغصن الثخين المنطلق من الجذع ، ومضيت معه ببطء « الى يسارك قليلا » وفجأة اصطدمت يدي بشيء طري . « هذا هو عبد العاطي ، هل له اذنان ؟ » وضحك وهو واقف هناك .

لا بد ان يكون ذلك الذي لمسته هو الرقبة . كان شيئا طريا ولكنه اكثر نشافا من اللحم . شيئا بين اللحم والثمر . هذه الذقن ، ملتصقة من جهة بالعنق ومن جهة اخرى بخشب الغصن ، وفوقها انبساط صغير ، هنا ينبغي ان تكون الشفتان ، ولكن لا يوجد اي شيء . ثمة نتوء يكاد يكون مستديرا الى الاعلى . هذا الانف ، ثم تلمست الخدين اللذين كانا خشنين قليلا ، وببطء بحثت فوقهما عن العينين ، ولكنني لامست سقف المحجر . لا توجد عينان ، والى فوق جاء نتوء الجبهة مندفعا الى الخارج اكثر من المعتاد ، وتأتي الجبهة منبسطة عالية ، وبدت لاصابعي وكأنها لن تنتهي ، وعدت فوق استدارة الرأس اتحسس الصدغ ، لا توجد اذنان . وكانت اصابعي تقول انه رأس غريب وغير ودود . عنق ثخين قصير وذقن عريضة تكاد تكون مربعة ، وانف مستدير وبارز ، وخدان قصيران وجبهة عالية ناتئة اكثر من المعتاد ، وعدت اتحسسه من جديد، بجمع راحتي كله ، اضغط عليه قليلا ، واعتصر ندواته برفق . اي رأس هذا بلا عينين